



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإخلاص في العبادة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿۱﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]... أما بعدُ، فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ أَمَا بَعْدُ:

نتكلم اليوم إن شاء الله بإختصار عن مقام مهم لإعمال القلوب ألا وهو الإخلاص ونقرأ بعض آيات في الإخلاص. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة: 5] . وَقَالَ: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ - أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } [الزمر: 2 - 3] . وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي - فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ } [الزمر: 14 - 15] . وَقَالَ لَهُ: { قُلِ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } [الأَنْعَام: 162 - 163] .

وَقَالَ: { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [الملك: 2] . قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ: هُوَ أَخْلَصُهُ وَأَصُوبُهُ. قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصُوبُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا. لَمْ يُقْبَلْ. وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا: لَمْ يُقْبَلْ. حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ. ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف: 110] .

هذه بعض الآيات في الإخلاص ، وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب إذا فهمها العبد فهما صحيحا فهم معنى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وتجريد المتابعة لرسوله وإفراده بذلك. وَقَدْ تَنَوَّعَتْ عِبَارَاتُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ فِي الْإِخْلَاصِ وَالصَّدْقِ ، وَالْقَصْدُ وَاحِدٌ. ومن أحسن ما قيل: الْإِخْلَاصُ اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. أي إذا صلح الباطن بالإخلاص وصدق التوجه ، وقوة اليقين وكان ظاهره مطابقا لذلك فهو المخلص. وَالرِّيَاءُ: أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ خَيْرًا مِنْ بَاطِنِهِ. وَالصَّدْقُ فِي الْإِخْلَاصِ: أَنْ يَكُونَ بَاطِنُهُ أَعْمَرَ مِنْ ظَاهِرِهِ. وأفضل منها أن يكون ظاهره وباطنه على حالة واحدة.

تحقيق الإخلاص: وأمر الإخلاص أمر مهم للغاية وصعب تحقيقه ، إلا على من وفقه الله تعالى وزين في قلبه الإيمان والصدق وملاً نفوسه توفيقاً وحبا وتعظيماً للأمر والنهي ، وعلى العبد المسلم أن يجتهد في تخليص نفسه وأعماله حتى تكون خالصة لله سبحانه وتعالى، وتجريد متابعته لنبيه ، فالعمل لا يقبل إلا على هذين الأصلين ، فينبغي عليه تصفية قلبه من الشوائب والشبهات التي تكدر الإخلاص والمتابعة ، وتحبط العمل. فقد قال عليه الصلاة والسلام : ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) وليعلم العبد أن لا الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتغى به وجهه وليعلم أن أمر الشرك الأصغر من الرياء والسمعة والعجب خطير جدا ، قد يحبط عمله يسير الرياء وهو لا يشعر ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْإِلَهِيِّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ((أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ. مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ بِهِ. وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ)).

فليكن دائما متيقظا فطنا مرابطا على ثغور مداخل الشيطان الكثيرة حتى يدفع كل داخل مما يفسد عليه إخلاصه وعمله بقوة الإيمان وصدق اللجوء والإخلاص واليقين ومتابعة السنة ، وخوف بلا قنوط ورجاء بلا تواكل ، وليعلم أن العمل بين الإخلاص والرياء على أربع مراتب:

1- أن يكون قصده الرياء من أول قيامه بالعمل فهذا قد حبط عمله .. وخسر خسارنا مبينا ، ويوم القيامة يقال له اذهب لمن كنت تعمل هل تجد لك عندهم شيئا وفي الأثر: يَقُولُ اللَّهُ ((لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اذْهَبْ فَخُذْ أَجْرَكَ مِمَّنْ عَمِلْتَ لَهُ. لَا أَجْرَ لَكَ عِنْدَنَا)).

2- أن يكون قصده الإخلاص ثم طرأ عليه الشرك الأصغر الرياء ، والتسميع والعجب ولو بعد العمل ، فيعالجه ويدفعه فيغلب الرياء والتسميع والعجب لضعف إيمانه أو نفاقه ، وتقديمه العاجل على الآجل ، ورؤيته أن ما عند الناس أفضل مما عند الله تعالى ؛ فهذا قد حبط عمله أيضا.

3- أن يكون قصده الإخلاص ثم يطرأ عليه الرياء فيعالجه ويدفعه فيختلجان ويتساويا فيخرج من عمله لا له ولا عليه ولم يستفد إلا التعب والجوع والعطش ؛ فرب قائم ليس له من قيامه إلا التعب ، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش. وفي الحديث ((رب قائم حظه من قيامه السهر ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش)) (صحيح) صحيح الجامع (3490)[طب] عن ابن عمر [حم ك هق] عن أبي هريرة. صحيح الترغيب (1076).

4- أن يكون قصده الإخلاص فيطراً عليه الرياء فيدفعه دفاع المستميت عن نفسه بقوة وصدق وخوف من العاقبة ، فيرى نفسه على حسر من النار لو ترك المدافعة لسقط ، فيعالجه بقوة ويقين فيتغلب الإخلاص على الرياء وتكون له العاقبة فهذا الذي يرجى أن يكون مخلصاً . نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الإخلاص بمنه وكرمه وإياكم من هذا الصنف فإنه ما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

والضابط في معرفة الإخلاص من غيره هو أنك تنظر لمن تقوم بعملك ؛ لله وليس لأحد فيه نصيب ، أم للمخلوق الذي يتبرأ منك يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فالعمل من أجل الناس رياء وتركه من أجلهم رياء . وَمِنْ كَلَامِ الْفُضَيْلِ : تَرُكُ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ . وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ . وَالْإِخْلَاصُ : أَنْ يُعَافِيكَ اللَّهُ مِنْهُمَا .

فعلى العبد المسلم أن لا يلتفت إلى الناس عند قيامه بأي عمل ، وكأنه لا يرى أحدا ولا يسمع بأحد من حوله يراه ويراقبه إلا الله سبحانه وتعالى الذي يقوم بهذا العمل من أجله وابتغاء مرضاته . وليعلم أن الله سبحانه وتعالى يراقبه ويعلم سريره كما يعلم ظاهره ، وانه سبحانه لا يرضى أن يشرك معه غير حتى يسير الشرك ، وانه سبحانه يمقت الرياء والمرائين كما يمقت السيد أن يشاركه سيد آخر في عمل عبد ، فليس من الحكمة في شيء أن يعمل عبد عند طول اليوم وفي آخر النهار يؤخذ الحصيصة ويعطيها لجارك ، أو يعمل عند جارك طول اليوم في آخر النهار يأتي ليطلب أجرته عمله منك فهذا لا شيء له .

فقد كان الواحد من السلف يقف في الصلاة فيحمر ويخضر لونه ، ويكاد يذهب عقله فإذا سئل عن ذلك؟ قال: أتدرون بين يدي من أقف؟ يعني: أن الواحد منهم كان يستشعر أنه واقف بين يدي الله تعالى، فيجتهد أن يخلص ويخاف أن يرد عليه عمله ولا يقبل . وكان بعض السلف إذا قام يصلي لا يشعر بأحد من حوله حتى أنه إذا ركع جاء الحمام واستقر فوق ظهره وهو لا يشعر به ، لسكون جوارحه وطمأنينة نفسه ، وإقباله على ربه . وبعضهم يقوم يصلي كأنه صخر لا يسمع ولا يرى أو غائب عن هذا الوجود حتى لو احترق بيته أو زلزلت الأرض من حوله لا يشعر بذلك ، ولا يتحرك ، متخف وكان هناك من يطلبه ليقضي عليه ، فهو مقبل على شأنه لا يبالي بشيء خوفاً من الوقوع في مصيدة عدوه . وقد قطعت رجل عروة بن الزبير وهو يصلي دون بنج ولا تخدير ولم يشعر بهم لما قطعوها كما ذكره أهل التأريخ في ترجمته وهذا فيض من غيظ .

وهكذا في الصيام فقد كان فيهم من يطيل الصيام ولا أحد يعلم به إلا زوجته التي جهر فراشها بالقيام ونهارها بالصيام . وكذلك الصدقة فقد كان الواحد منهم يصل المئات من العائلات الفقيرة بالعطايا ولا يدرون من أين أتتهم ومن يقوم بذلك حتى مات فعرفوا أن فلان هو المتصدق عليهم . وقد أخبرنا الله تعالى عن طائفة منهم أنه اطلع على ما في قلوبهم من قوة إخلاص وصدق وإيمان وقوة يقين وتوجه صحيح يطابق الباطن الخفي مع الظاهر الصريح فرضي عنهم وأرضاهم . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لبعضهم: أصدق الله يصدقك فكان كذلك. ((أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَهَاجِرُ مَعَكَ ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ غَنَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيًّا ، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ ، فَأَعْطَى مَا قَسَمَ لَهُ ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَ دَفْعُوهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا :

قَسَمَ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَسَمْتُهُ لَكَ، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا أَتْبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي أَتْبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِصَدَقَتِكَ، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ يَحْمِلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ: أَهْوَ هُوَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ فِي جَبَّةِ النَّبِيِّ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيهَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ)).

اللهم أجعلنا من الصادقين المخلصين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، واجعل أعمالنا جميعها خالصة لوجهك، ويجب علينا أن نصح نياتنا ومقاصدنا وأن نجاهدة أنفسنا في ذلك، ولا ينبغي أن يحدث الإنسان المسلم بصالح أعماله، يجب على كل واحد منا أن يكون عنده خبيثة مع الله سبحانه وتعالى لا يعلمها إلا هو والله سبحانه وتعالى، يجب أن لا نتكلم بمحاسن أعمالنا طول الوقت لأن هذا من مبطلات الأعمال.

فالأمر خطير فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أول ثلاثة تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ: قَارِئُ الْقُرْآنِ، وَالْمُجَاهِدُ، وَالْمُتَّصِدِّقُ بِمَالِهِ، الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ يُقَالُ: فُلَانٌ قَارِئٌ، فُلَانٌ شُجَاعٌ، فُلَانٌ مُتَّصِدِّقٌ، وَلَمْ تَكُنْ أَعْمَالُهُمْ خَالِصَةً لِلَّهِ. والحديث رواه مسلم، وقد كان أبو هريرة كلما حدث بهذا الحديث غشي عليه.

ومنها أنه إذا أظهر العمل أو حدث به في الحدود الشيقة أن لا ينتظر من أحد ثناء ولا مدحا، ولا جزاء، ولا شكورا، ويكون قصده الحث على فعل الخير والدعوة إليه والنصح لله تعالى، ويكون قصده ليقنتوا به كما فعل ذلكم الصحابة الذي جاء بصرتين عجزت يدها عن حملهما ثم تتابع الصحابة حتى اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم كومين من الصدقة فقال ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)) رواه مسلم.

ينبغي للمسلم أن يكون خائفا وجللا من حبوط عمله لا سيما من عنده شيئا من العلم؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء، وكثيراً ما كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))، ويعلمنا أن نقول: ((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه)) فيسأل الله سبحانه وتعالى الثبات في كل لحظة من لحظاته، ويسأل الله - جل وعلا- أن يحسن له الخاتمة، وأن يستعمله فيما يرضيه، ولا يركي نفسه فيقول: أنا أعلم مخلصا، وظاهري مثل باطني هذا الكلام ليس بصحيح؛ لأن هذا اغترار، وإعجاب بالنفس، فالإنسان مع الإحسان عليه أن يخاف وهذه حال السلف، كما أسلفت وكان ابن أبي ملكية يقول: أدركت ثلاثين يعني -من الصحابة- كلهم يخاف النفاق على نفسه، هؤلاء صحابة ما يقول أحدهم أنا صحابي، ويستدل بما ثبت في فضلهم ويعتمد على ذلك ليكون مضمونا، فالسعيد من جمع بين حسن العمل وإساءة الظن بنفسه وإحسان الظن بربه { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ } [60] سورة المؤمنون] خائفة، تقول عائشة: أهم الذين يزنون يارسول الله عليه الصلاة والسلام، أهم الذين يشربون، أهم الذين يسرقون، قال: ((لا، يا ابنة الصديق، هم الذين يصلون ويتصدقون ويصومون ويخافون ألا تقبل منهم عباداتهم))، فعلى الإنسان أن يكون خائفاً وجللاً، لأنه ما يدره هل يقبل عمله أم لا، يقول الله عز وجل: { وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا

يَحْتَسِبُونَ} [47) سورة الزمر] . فإذا كان العبد على ما وصفتُ من خوف ورجاء فإنه يرجي له أن يكون من أهل الإخلاص والمتابعة فيرجى له القبول.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذکر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

هذا وأعلموا أيها المسلمون: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة والسلام على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب آية 56]... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائماً متلاًزمين إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل آية 90]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت آية 45].